إخترنا لك :

الظاهر والباطن

فى العبادات الإسلامية

للأستاذ عبد الوهاب خلاف

إنما فرض الله على المسلمين الصلاة والصيام والزكاة والحج ليقوى إيمانهم ويثبت عقائدهم ، ويطهر نفوسهم من الشرور والآثام ويباعد بينهم وبين الوهن والإنحلال ، والأحقاد والأضغان . . فهو سبحانه بحكمته البالغة ورحمته الواسعة ، كلف عباده بعبادات يحتملون فيها بعض ما يشق عليهم لينجيهم مما يؤدى بهم من شرور وسيئات ، وأمراض وآفات ، كالطبيب الذى يكلف المريض بشرب الدواء المر ، لا ليؤلمه بمرارته ، ولكن ليشفيه من أمراضه ويقضى على آلامه . .

ولكل عبادة من هذه العبادات الأربع التى فرضها الله على المسلمين ناحيتان ناحية صورية ظاهرة ، وناحية روحية باطنة . . والله جل ثناؤه أراد صلاح الأفراد والجماعات من كل ناحية من الناحيتة . . فالصورة وسيلة ، والروح مقصد ، والله أراد لعباده الخير بالوسائل وبالمقاصد . .

فللصلاه ناحية صورية ظاهرة هى الطهارة من النجاسات للثوب والمكان والبدن ، وإستقبال القبلة والقيام والقعود ، والركوع والسجود ، والقراءة والتكبير ، والتسبيح ، والتحميد . . ولهذه الناحية أثرها فى تعويد المسلمين النظافة ، وإشعارهم برابطة القبلة الواحدة والجماعة الواحدة ، والمعبود الواحد ، وإنتهائهم عن الفحشاء والمنكر . . ولها ناحية روحية باطنة هى مثول المسلم بين يدى ربه ، وفناؤه فى حضرته وإستحضار لربوبيته وعظمته وعبادته كأنه يراه . . ولهذه الناحية أثرها فى صفاء نفسه وطهارة قلبه ، وبعده عن كل ما فيه سخط ربه ، وإلى هذا أشار رسول الله صلى عليه وسلم فى فى الحديث القدسى : « ما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أكون سمعه

الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها . .

وللزكاة ناحية صورية ظاهرة هى معونة الأغنياء للفقراء ، وسد حاجة المحاويج والمساكين .. ولهذه الناحية أثرها فى إقامة العدل فى الأمة ، وإنصاف أهل الفقر من أهل الغنى ، وشكر النعمة . . ولها ناحية روحية هى تطهير نفوس الأغنياء من الشح والبخل والقسوة والأنانية ، وتطهير نفوس الفقراء من الأضغان والأحقاد ، وخواطر السر ووساوس السوء . . كما أن لها أثرها فى سعادة المجتمع وأمنه من التظالم والتعادى ، وذيوع المبادىء الهدامة واختلال الأمن والنظام . . وإلى هذا أشار الله سبحانه بقوله : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها) وأشار رسول الله بقوله : « الزكاة طهرة » .

وللصيام ناحية صورية ظاهرة هى الإمساك عن الطعام والشراب والجماع من قبيل طلوع الفجر إلى غروب الشمس . . ولهذه الناحية أثرها فى إضعاف الجانب البهيمى فى الإنسان ، وتعويده الصبر على احتمال المشاق ، وإشعاره بما يشعر به الجائعون والمحرومون . . وله ناحية روحية هى سمو الإنسان إلى المستوى الملائكى ، وإستبداله بلذة الطعام والشراب لذة الرياضة الروحية ، والحياة الملائكية .. ولهذه الناحية أثرها فى خلاص الإنسان من سلطان نفسه وشهواته . وابتغائه مرضاة ربه فى كل ما يفعله أو يكف عنه . وإلى هذا أشار رسول الله صلى عليه وسلم بقوله : « الصوم جنة » .

وللحج ناحية صورية ظاهرة هى تجرد الحاج من المخيط من الثياب ، وطوافه بالكعبة ، وسعيه بين الصفا والمروة ، ووقوفه بعرفة ، وإهلاله بالتلبية والدعاء . . ولهذه الناحية أثرها فى الخضوع لله ، وتعظيم شعائر الله وإجتماع المسلمين حول أول بيت وضعه الله للناس فى الأرض ليعبدوه ، ويجتنبوا عبادة ما دونه . . وله ناحية روحية باطنة هى تجرد الحاج من زينة الحياة وشواغلها ، وإستشعاره ربه ، ووقوفه بين يديه . . ولهذه أثرها فى توبة الحج وندمه وإستغفاره ، وتخلصه من آثامه . وإلى هذا أشار رسول الله بقوله : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » .